عرض ندوة

تجديد الخطاب الديني

محمد الخامس زكرياء*

أقام المجلس الأعلى للثقافة ندوة بعنوان "تجديد الخطاب الديني"، وذلك في الساعة السادسة من مساء الأربعاء الموافق ٢١ يناير ٢٠١٥، بالمسرح الصغير بدار الأوبرا المصرية بالجزيرة. وتحدث فيها كل من: أ.د / محمود حمدي زقزوق، و د. أسامة الأزهري، و أ.د أسامة الغزالي حرب.

انطلق د.زقزوق في حديثه من أن التجديد سنة الحياة، فهو ضروري في جميع مجلات الحياة، بما في ذلك الخطاب الديني، والمجال الذي يشمله التجديد من الخطاب الديني هو ما يطلق عليه الفكر الإسلامي الذي هو مضاف إلى الإنسان، يتناوله بعقله الذي وهبه الله إياه ليستنبط المفاهيم من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، آخذا في الاعتبار التطورات التي شهدها العالم الحديث، والنتائج التي تتمخض عن فتواه وآثاره في مجتمعه والعالم من حوله، فالتجديد في الخطاب الديني لا يشمل نصوص القرآن والحديث التي صدرت من الله ورسوله، بل ما يفهم منهما بالاجتهاد، وهذا هو المطلوب، بل دعا إلى ذلك الإسلام نفسه بدليل أن القرآن الكريم تحدث عن التغيير وأسنده إلى الإنسان، وذلك لأن الإنسان عاقل ومريد فبيده التغيير؛ فقد وهب العقل ليستخدمه، فعدم استخدامه ذنب يؤخذ عليه، بنص القرآن، قال تعالى:﴿**وقالوا لو كنَّا نسمعُ أو نعقلُ ما كنَّا في أصحابِ السعير، فاعترفوا بذنبهم، فسحقا لأصحاب السعير**﴾ [الملك١٠ : ١١] ولأجل ما يتمتع به الإنسان من العقل سخر له الله سائر الكائنات، قال تعالى: ﴿**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه**﴾[الجاثية ١٣].

فالإسلام دين يحض العلماء والدعاة على الاجتهاد للتوصل إلى مفاهيم جديدة، فلا ينبغي الوقوف بجمود على فتاوى السابقين، فقد أفتوا بما يليق بعصرهم ومجتمعهم، ويؤيد هذا حديث الرسول ﷺ القائل: ﴿إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" وفي رواية " من يجدد لها أمر دينها﴾، ويرى السابقون أن المراد من التجديد في الحديث هو إحياء السنة وإماتة البدعة، لكن الدكتور محمود حمدي زقزوق يرى أن المراد منه الاجتهاد وهو ما يتعلق بالعقل الإنساني، فالتجديد آليته الاجتهاد، ويكون بالعقل، ويؤيد هذا حديث معاذ حيث بعثه رسول ﷺ إلى اليمن، فقال له: "كيف تقضي إن عرض لك قضاء ؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال: أجتهد رأي ولا آلو، قال فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله"

فالاجتهاد هو مبدأ الحركة في الإسلام، كما قال محمد إقبال، وأشار الدكتور زقزوق إلى أن التقليد هو آفة المجتمع، وأنه ناشئ من المنهج التعليمي الذي لا يدرب الطلاب على التفكير، وقد قال رسول الله

* طالب نيجيري بمرحلة الدكتوراه بمعهد البحوث والدراسات العربية منظمة جامعة الدول العربية سنة ٢٠١٥.

ﷺ "لا تكونوا إمعة"، وأئمة المذاهب يرفضون التقليد والجمود، فالإمام الشافعي ابتكر علم أصول الفقه، والإمام مالك يرفض طلب الخليفة منصور بفرض مذهبه على الناس، إذ في سائر البلدان علماء ولهم اجتهادات. والإمام أبو حنيفة يقول له أصحابه مرة: لعل رأيك الصواب الذي لا مراء فيه، فيقول لهم: لعله الخطأ الذي لا مراء فيه، وهكذا كان العلماء يدعون إلى الاجتهاد وإعمال العقل، فقال الإمام الغزالي: "العقل كالأساس والشرع كالبناء، وليس يرفع أساس بدون بناء" فالمعاصرون مطالبون باجتهادات تلائم تطلبات العصر ولاسيما أن لهم فرصا أكثر من السابقين كما يقول الإمام محمد عبده.

أما المتحدث الثاني د. أسامة الأزهري فقد تناول الموضوع من زاويتين، الأولى: تاريخ التجديد ورصد أعمال السابقين في هذا المجال، والثانية: الكلام في صناعة التجديد.

أما عن الجانب الأول، فذكر أن من أكثر العلماء اهتماما بهذا الموضوع الإمام السيوطي، فألف في ذلك كتابه: "تحفة المجتهدين بأسماء المجددين"، وكتابه: "التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة"، وجاء بعده صاحب كتاب "بغية المقتدين" في أسماء المجددين وصفاتهم، ثم جاء الشيخ عبد المتعال الصعيدي وألف كتابه "المجددون في الإسلام"، ثم ألف أمين الخولي كتابه "المجددون في الإسلام"، وكذلك رفاعة رافع الطهطاوي له كتاب اسمه: القول السديد في الاجتهاد والتقليد. وعن الجانب الثاني الذي يتعلق بصناعة التجديد ذكر أن ذلك يطلب من القائم بتجديد الفكر الديني استيعاب ما حوله من الحضارات وأن يكون قادرا على مزج العلوم مع بعضها لينتج ذلك خطاب ملائما للعصر.

وذكر المتحدث الثالث أ.د أسامة الغزالي حرب، أن الخطاب الديني يشمل الكتب والقنوات والمجلات والصحف، والخطب، ومن ثم لابد أن يشمل التجديد هذه النواحي كلها، وقد لمح إلى أن هناك أحاديث لا ينبغي استمرار تداولها كحديث الذباب إذ لا يوافق العصر في رأيه، كما ذهب إلى أن التجديد ينطلق من تجديد المؤسسات الدينية، وعلى رأسها الأزهر.

ثم كانت هناك مداخلات من السادة الحضور دار أكثرها حول موضوع المرأة في الإسلام، والتعامل مع الآخر، وكان أبرزها مداخلة الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي الذي أظهر أن التجديد يشمل حتى النصوص الدينية، وأن النصوص لابد أن تطاوع العصر فيما يريد، وتساءل لماذا ندرّس لأبنائنا بعض الأحاديث، كحديث، " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة".

كما تلا من الآية القرآنية التي تتحدث عن القصاص قوله تعالى: (**... النفس بالنفس والأذن بالأذن والسن بالسن...** الآية) [المائدة ٤٥]، وعقب عليها قائلا: كيف أرضى لقاضٍ مصري أن يسمل عين رجل سمل عين آخر، ودعا أخيرا إلى أنه لابد أن يقول النص الديني بأن الرجل والمرأة سواء، وأن الخلافة قد انتهت، وأن الدولة الدينية ولت دون رجعة، وهكذا إلى آخر آرائه التي أدلى بها، لكن الدكتور حمدي زقزوق وضح أن الحديث السابق عن المرأة يختص بحادث معين، فلا يُنزّل على غيره، وأن آية القصاص واضحة في أنها إخبار عن ما كتب على بني إسرائيل، إذ صدرت بقوله تعالى: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين...).